أقوال المفسرين في دعوة لقمان لابنه

م.د. حسين صالح حمد الشباني
مديرية الوقف السني / الأنبار

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة أقول المفسرين في دعوة لقمان، واننا في هذا البحث المختصر نسلط الضوء على هذه الوصايا المباركة لما فيها من اهمية كبرى في التربية والدعوة، عسى الله ان ينفعنا بها جميعا انه ولي ذلك والقادر عليه.

الكلمات مفتاحية : (أقوال ، المفسرين، دعوة ، لقمان، لابنه).

Sayings of the commentators on Luqman's invitation to his son

Dr. Hussein Saleh Hamad Al-Shabani Sunni Endowment Directorate / Anbar

Abstract:

This research aims to know what the commentators say about Luqman's call, and in this brief research we shed light on these blessed commandments because of their great importance in education and advocacy. May God benefit us all from them, for He is the guardian of that and the one who is capable of it.

Keywords: (sayings, commentators, invitation, Luqman, by his son).

المقدمة:

إنَّ المتدبر في آيات سورة لقمان وما قصه الله علينا في هذه السورة من وصية ذلك العبد الصالح لابنه وما فيها من موعظة عظيمة يقف على معان عظيمة ووصايا خلدها الله في كتابه العظيم لما

فيها من اثر في تربية المجتمع والاسرة المسلمة فكانت بمثابة دستور خالد وقواعد ثابتة يعتمد عليها المربين والدعاة في ايصال الدعوة للناس وانشاء جيل مؤمن يقوم على تعاليم الحق المبين.

واننا في هذا البحث المختصر نسلط الضوء على هذه الوصايا المباركة لما فيها من اهمية كبرى في التربية والدعوة، عسى الله ان ينفعنا بها جميعا انه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين.

اثر القصص القرآني في غرس القيم والتربية والاخلاق الفاضلة من خلال قصة لقمان مع ابنه

المطلب الاول: من هو لقمان

اختلف في لقمان هل نبي ام لا وهل هو عربي ام اعجمي الى اقوال ومن هذه الاقوال على سبيل المثال لا الحصر:

ذكر صاحب اللباب في علوم الكتاب بعض الاقوال في ذلك فقال: (قيل: أعجمي وهو الظاهر فمنعه للتعريف والعجمة الشخصية، وقيل: عربي مشتق من اللقم وهو حينئذ مرجل لأنه لم يبق له وضع في النكرات ومنعه حينئذ للتعريف وزيادة الألف والنون، والعامل في «إذ» مضمر.

قال ابن إسحاق لقمان هو ناعور بن ناحثور بن تارخ، وهو آزر، وقال وهب كان ابن أخت أيوب وقال مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب)

وذكر الزمخشري في الكشاف: أن اسمه لقمان بن باعورا [١].

وقال القرطبي: (وقيل : هو لقمان بن عنقاء بن سرون وكان نوبيا من أهل أيلة ؛ ذكره السهيلي)[٢].

ونقل ابن كثير عن السهيلي أن اسمه لقمان بن عنقاء بن سدون وذكر اسم ابنه: ثاران [٣].

واختلفوا في ما اذا كان نبيا ام حكيما وماذا كان عمله الى اقوال:

فنقل القرطبي الاختلاف في صنعته فقال : (واختلف في صنعته ؛ فقيل : كان خياطا ؛ قاله سعيد بن المسيب ، وقال لرجل أسود : لا تحزن من أنك أسود ، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان : بلال ومهجع مولى عمر ولقمان. وقيل : كان يحتطب كل يوم لمولاه حزمة حطب. وقال

لرجل ينظر إليه : إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق ، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض. وقيل : كان راعيا ، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له : ألست عبد بني فلان ؟ قال بلى. قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : قدر الله ، وأدائي الأمانة ، وصدق الحديث ، وترك ما لا يعنيني ؛ قاله عبد الرحمن بن زيد بن جابر. وقال خالد الربعي: كان نجارا ؛ فقال له سيده : اذبح لي شاة وأتني بأطيبها مضغتين ؛ فأتاه باللسان والقلب ؛ فقال له : ما كان فيها شيء أطيب من هذين ؟ فسكت ، ثم أمره بذبح شاة أخرى ثم قال له : ألق أخبثها مضغتين ؛ فألقى اللسان والقلب ؛ فقال له : أمرتك أن تأتيني بأطيب مضغتين فأتيتني باللسان والقلب ، وأمرتك أن تلقي أخبثها فألقيت اللسان والقلب ؟ ! فقال له : إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا)[٤].

وقال ابن فورك: (واختلفوا في لقمان هل كان نبيا؟ روي عن ابن عباس أنه قال: لم يكن نبياً، وقال عكرمة: كان نبياً)[٥].

وقال صاحب اللباب: (وقال الواقدي: كان قاضيا في بني إسرائيل واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة فإنه قال كان نبيا وانفرد بهذا القول)[٦].

المطلب الثاني: وصايا لقمان

ذكر الله سبحانه وتعالى وصايا لقمان في كتابه في سبع آيات تخليدا لها ولما لها من دور عظيم في التربية والدعوة. وهذه الوصايا هي كما جاءت في كتاب الله: في سورة لقمان ...

ويمكن تقسيم وصايا لقمان على حسب الآيات التي جاءت بها الى ثلاثة اقسام هي:

أ- وصايا في الاعتقادات: وهذه تشمل :

- إصلاحُ الاعتقاد بتجريدِ التوحيد لله وتركِ الشرك به.
- الأمر بمُراقبة اللَّهِ العلِيم بِخفِيَّاتِ الْأُمُورِ.

ب- وصايا في الأعمال: وهذه تشمل :

- الامر بإقامة الصَّلَاةَ.
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- الأمر باتباع سبيل المنيبين إلى الله، الملازمين لطاعته.

ج- وصايا في أدب المعاملة: وهذه تشمل :

- الوصايةُ بِالْوالِدينِ.
- النهي عن احتقار الناس والتَّفاخرِ عليهم،
- الْأَمْر بِالِاتِّسامِ بِسِماتِ الْمتواضِعِين فِي الْمشْيِ والْكَلَامِ(٧).

ومن خلال الْعرض السَّابِق للآيات الْكَرِيمَة يمُكن توضيح الْوَصَاياَ فِي النقاط التالية:

الْوَصِيةُ الأولى: تَوْحِيدُ الله وإفراده بِالْعبَادَة لله وَحده لَا شريكَ لَهُ فِي ذَلِك فَهُوَ الْمُسْتَحق لِلْعِبَادَةِ وَحده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - (يَابُنَي لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) .

الْوَصِية الثَّانِيةَ: برَّ الْأَبْنَاء لآبائهم (وَوَصَّينْا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيهْ ...) الْآيةَ.

الْوَصِيةُ الثَّالِثَة: أَن يرْاقب العَبْد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حركاته وسكناته وَجَمِيْع أَعماله، فَالله عز وجل لَا تخفى عَلَيه خافية لَا فِي الأَرْض وَلَا فِي السَّمَاء (يَا بُنَي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّة مِنْ خَرْدَل ...) الْآيةَ.

الْوَصِيةُ الرَّابِعَة: الْأَمر بِإِقَامَة الصَّلاة وَالْأَمر بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَالصَّبْر على تحمل المشاق فِي سَبِيل ذَلِك (يَابُنَي أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوف وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...) الْآيةَ.

الْوَصِيةُ الْخَامِسَة: التَّوَاضُع لعباد الله والإقبال عَلَيهْم بِوَجْه طلق والابتعاد عَن مظَاهر الْكبر والغرور، وخفض الصَّوت أثْنَاء الحَدِيثُ مَعَهم وَعدم رَفعه (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ....) الْآية (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ واغضض منْ صَوْتِك...) الْآيةَ(٨) .

المطلب الثالث: اثر وصايا لقمان على تربية الاباء للأبناء

بداية علينا ان نتعرف على بعض المصطلحات المرتبطة بهذا الموضوع :

مفهوم التربيةُ واشتقاقاتها: التربية ترجع إلى أصول ثلاثة هي: رَبَا، رَبِي ، رب .

فالأصل الأول : ربا يربو، معناه النمو والزيادة.

أما الأصل الثاني : ربي على وزن خفي يخفى فمعناه نشأ وترعرع.

أما الأصل الثالث: رب يرب فمعناه أصلح وتولى أمره.

قال ابن منظور في لسان العرب : ربا الشيء يربو رباء زاد ونما، وأربيته نميته.

قال ابن فارس : رب ، الراء والباء يدلان على أصول : فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب المالك والخالق، والرب المصلح للشيء ، والله جل ثناؤه الرب لأنه مصلح خلقه، وربيت الصبي أربه وربيته أربه، والربيبة الحاضنة، وربيب الرجل ابن امرأته الذي يقوم على أمر الربيب ، والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه.

وقال الراغب: الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى التمام.

من خلال ما تقدم نجد أن التربية تتكون من العناصر التالية:

- حماية الطفل وتعهده بالرعاية، وتنمية مواهبه.
- إرشاده إلى الفطرة السليمة، والتدرج في تربيته.

التربية اصطلاحا: وقد لخص الأستاذ عبد الرحمان الباني نتائج تحليلٌ التربية إلى مايلي :

- المربي الحق هو الله سبحانه، لأنه هو الخالق خالق الفطرة، وواهب المواهب .
- التربية عملية لا بد أن تستضيء بنور الشريعة الإلهية، وتسير وفق أحكامها.
- التربيةٌ عمليةٌ هادفة لها اراضيها وأهدافها وغاياتها.
- التربية عمليةٌ تسير وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة، وفي كل شأن من الشؤون[٩].

لقد كانت وصايا لقمان الحكيم لابنه من الحكمة؛ لأنه في وقت قوله ذلك لابنه أوتي حكمة، فكانت كل حالة تصدر عنه فيها حكمةٌ هو فيها قد أوتي حكمة. قال الله تعالى (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِۦ وَهو يعَظِّه ياَ بنُي لَا تشُرِّك بِٱللَّه إن الشرْكَ لظَلْمٌ عَظِيمٌ)(لقمان٢٨).

الوعَظُ : هو النُصْحُ والتَّذْكِيرُ في الخيَرِ بما يرُققُ القَلبْ ويحذر الموعوظ، فيبُعدُهُ عن الفساد ويحرضُه على الصلاح، وقد يكون فيه تخْوِيف وإِنْذَار أو هو الأمر والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب. وافتتاح الموعظة بنداء المخاطب الموعوظ (ياَ بنُي) مستعمل مجازا في طلب حضور الذهن لوعي الكلام وذلك من الاهتمام بالغرض الْمسُوق له الكلامُ. والتصغير فيه(بنُي) كناية عن الشفقة به والتَّحبُب له، وهو في مقام الموعظة والنصيحة إيماء وكناية عن إمحاض النصح وحب الخير، ففيه حث على الامتثال للموعظة(١٠).

ان الله عز وجل يؤكد في سورة لقمان على ضرورة ان يجلس الوالدين مع ابنائهم من اجل النصح والتوعية والتربية فقال الله عز وجل (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه)، ومن أهم وسائل التربية الصحيحة استخدام الألفاظ المحببة إلى الابناء مثل عبارة يا بني والتي استخدمها لقمان في نصيحته لابنه. ان استخدام هذه الألفاظ هام للغاية له دور كبير في تقويم النشء وتربيتهم على المحبة والاحترام المتبادل.

وهذا من أعظم حقوق الولد على والده :أن يؤدبهَ ويرُبيّهَ، و يوُصّيهَ بما ينفعه ويرقق قلبه، ويهذب نفَسَه و يوُجب له الخشية والعَدلَ ، مع إظهار الترحم والتحنُن والشفقة؛ ليكون ذلك أدعى لقبول النصح. روى البخاري عَن عَبْد الله بن عمر، ان رَسُولَ الله، صلى الله عليه وسلم، قاَل (كُلُكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتهِ، فاَلإِمَام رَاعٍ وَمَسْئُول عَن رَعِيَّتهِ، وَالرَّجُلُ في أَهْله رَاعٍ وَهْو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته، وَالْمرأَة فيّ بيَتّ زَوْجّهَا رَاعِيةٌ وَهْيَ مَسْئُولة عَن رَعِيَّتّهاَ، وَالْخاَدمُ في مَال سَيدّهِ رَاعٍ وَهْو مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتهِ ، وَالرَّجُلُ فيّ مَالّ أَبيّه رَاعٍ وَمَسْئُول عَنْ رَعِيَّتهِ، فكَلُكُمْ رَاعٍ وكَلُكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتهِ) . وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول لأصحابه (ارْجّعُوا إلىَ أَهْليّكُمْ فأَقيّمُوا فيّهم وَعلَموُهم وَمُرُوهمُ) رواه البخاري. وقد قال جل ذِّكْرهُ : (ياَ أَ يهاَ الَّذّينَ ءاَمَنوُا قوُا أَنفُسَكُمْ وَأَهْليّكُمْ نارَا وَقوُدهُاَ النَّاسُ وَالحّجاَرَةُ) (التحريم٢) أي : فقهوهم، وأَدبوهم، وادعوهم إلى طاعة الله، وامنعوهم عن استحقاق العقوبة بإرشادهم وتعليمهم . وقيل : أظْهّروا من أنفسكم العبادات ليتعلَّموا منكم، ويعتادوا كعادتكم. فلا يسلم العبد إلا

إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه(١١).

وذكر عباس محجوب : إن لمتدبر كتاب الله عز وجل، يتضح له تميز المنهج الرباني بمفاهيم تربوية لا يوجد لها مثيلا في المناهج ، والنظم والنظريات التربوية من البشر تستهدف تلك المفاهيم الربانية خير الإنسان في الدنيا والآخرة جميعاً، وينطلق المنهاج الرباني في بناء القيم الإسلامية ، التي تتظافر للوصول بالإنسان إلى الصلاح والإصلاح، وشجب صور الفساد في النفس والمجتمع، لتحقق له بذلك كماله الإنساني. "إن المنهاج الرباني واضح في أهدافه وغاياته ليتمكن المسلم من اتباع هديه، وهو مؤمن بمقاصده العظيمة، وموقن بالخير الذي يعود عليه نتيجة التمسك به والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، ومن هنا فإن منهاج التربية الإسلامية يركز على غرس الحق والعدل والإحسان والإخاء والمساواة والعفو والرحمة والمعروف والاستقامة والصبر"... وغير ذلك من أفعال الخير وصالح الأعمال. والأسرة المسلمة هي المدرسة الأولى التي تقوم بتوجيه وتربية الأبناء تربية صالحة. فالأبناء أمانة في أعناقهم يسألون عنهم أمام الله تعالى، قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} وبناء على ما سبق وجب على الآباء أن يوضحوا لأبنائهم معالم التربية الصحيحة، ويبينوا لهم الصالح من الضار، والحق من الباطل، فإن غفلوا أو قصروا في أداء ذلك نشأ أبناؤهم نشأة لا تحمد عقباها ولا يرجى خيرها وكان الإثم على الآباء أولا. فالأبوان هما المسؤولان في الدرجة الأولى عن انحراف أبنائهم خلقياً واجتماعياً وعقدياً، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) وفي هذا دلالة واضحة على أن المولود يولد على فطرة الإسلام، لكن تأثير الأبوين وأسلوب تربيتهما هما اللذان يوجهان عقيدة هذا الطفل نحو اليهودية أو النصرانية أو غيرهما. ومن هنا كانت مهمة الأبوين في التربية من الأهمية بمكان فالطفل يحاكي

أبويه في جميع سلوكهما ومعتقداتهما وأخلاقهما، فأول واجب يجب على الأبوين القيام به والاهتمام بأمره دون كلل، هو غرس عقيدة التوحيد في نفس الطفل وتوجيه عواطفه نحو حب الله ورسوله وإخباره بأن الله يجب أن يكون أحب إليه من أمه وأبيه ونفسه، والإيمان بالله الذي لا إله غيره وبملائكته ورسله، وتوحيد الله في الألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية لأن الإيمان بالله هو الموجه لسلوك الإنسان والدافع له إلى اتجاه الخير، والنصير له من حيث العناية والرعاية والتوفيق، كما أنه الذي يصرفه عن طريق الشر ويجعله متحلياً بالفضائل وحسن الخلق)[١٢].

لذلك نرى ان أول وصايا لقمان لابنه كانت متعلقة بتوحيد الله تعالى وافراده بالعبودية فقال له (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)....

إن الْإِيمان بِاللَّهِ هُوَ الموجه للسلوك وَالضَّابِط لَهُ والمتصل اتِّصَالا وثيقا بِالْأَعْمَالِ الصادرة من الإنسان ، فَإِن التربيةٌ الإِسلاميةٌ تَرْبط دَائما بَين الْعَمَل والسلوك ثمَّ بَين الْعَمَل الصَّادِر من هذا الْإِيمان وَبَين الْجَزَاء ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) . وَ قَوله تَعَالَى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإنسان لَافي خُسْر إِلَّا الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [١٣].

ثم لم يقف لقمان في دعوته لابنه بعبادة الله وحده ونبذ الشرك وانما بدا يبين له اسباب النهي وعلته حتى لا تبقى في نفسه شيء من النهي ولا يعتبر ذلك النهي هو امر صادر من الاب عليه الطاعة ولو لم يكن مقتنعا لذلك قال له (ان الشرك لظلم عظيم)..

ووَجْه كونه عظيمًا: أنه لا أَفْظَعَ وأبشَعَ ممن سَوَّى المخلوق من تراب، ولا يصْرف السوء إلا الله فهل أعظمُ من هذا الظلم شيء؟ !وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب، جعلها عابدة لمن لا يسَوىَ شيئا، فظَلَمَ نفسه ظلما كبيرا [١٤].

ثم بعد الايمان بالله تعالى وتوحيده لابد ان يتعلم الانسان ان يحترم ويوقر من كانا سببا في حياته وهما الوالدان اللذان امر الله سبحانه بخفض الجناح لهما والقول الكريم لهما فأوصى لقمان ابنه بالبر بهما فقال لهو : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) .

وذكر مجاهد: هي مشقة وهن الولد.

وذكر قتادة: هو جهدا على جهد.

وذكر عطاء الخراساني: هو ضعفا على ضعف[١٥].

ويقول ابن كثير أيضا: (وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهارا، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه، ... فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء)[١٦].

وقال ابن كثير في تفسيره للآية (١٦) من سورة الاحقاف: (لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه، عطف بالوصية بالوالدين، كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وقال هاهنا: {ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا} أي: أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما)[١٧].

وهنا يعرض لُقْمَان الْحَكِيم فِي وَصيته لِابْنِهِ العلاقة بَين الْوَالِدين وَالْأَوْلَاد فِي أسلوب رَقِيق، وَفِي صُورَة موحية بالْعَطْف والرقة، وَمَعَ هَذَا فَان رابطة العقيدة مُقَدّمَة على تِلْكَ العلاقة الْوَثِيقة[١٨].

وَلِهَذَا كَانَ شكر الْوَالِدين بعد شكر الله عز وَجل لِأَنَّهُ الْمُنعم الأول[١٩] .

مِمَّا سبق يمُكن القَوْل: إن علاقَة الْأَبْنَاء بالوالدين يجب أَن تكون علاقَة قَوِيةً مَبْنِية على التَّقْدِير والاحترام، ذَلِك أَن فَضلهمْ على أبنابهم لَا يدٌرك مداه وَلَا يسَتَطِيع أحد أَن يقدره، وَمن هُنَا كَانَ توصية الْأَبْنَاء بآبائهم تَتَكَرَّر فِي الْقُرْآن الْكَرِيم، وَالسّنة المطهرة[٢٠].

ويكاد الإنسان لا يفي والديه حقهما عليه مهما أحسن إليهما، لأنهما كانا يحسنان إليه حينما كان صغيراً وهما يتمنيان له كل خير ويخشيان عليه من كل سوء ويسألان الله له السلامة وطول العمر، ويهون عليهما من أجله كل بذل مهما عظم ويسهران على راحته دون أن يشعرا بأي تضجر من

مطالبه، ويحزنان عليه إذا آلمه أي شيء، أما الولد فإذا قام بما يجب عليه من الإحسان لوالديه فإن مشاعره النفسية نحوهما لا تصل إلى مثل مشاعر أنفسهما التي كانت نحوه ولا تصل إلى مثل مشاعره هو نحو أولاده إلا في حالات نادرة جداً[٢١].

ثم بعد ان وعظه بما ينفعه في الدنيا والاخرة وهو اصل الامر كله وهو عبادة الله وحده وبعد ان بين له مكانة الوالدين وفضلهما ووجوب توقيرهما وطاعتهما ما داما على الحق الذي يرضي الله تعالى ، بدأ بتوجيهه الى الاعتقاد الصحيح والى مراقبة الله تعالى في السر والعلن واستحضار عظمته سبحانه وانه عليم بكل صغير وكبير لا يعزب عنه مثال حبة من خردل في السماوات ولا في الارض وانه قادر على كل شيء فقال له : (يَا بنُي إنهاَ إنْ تك مِثْقَال حَبَّة مِّن خَرْدَلٍ فتَكَن فيّ صَخْرةٍ أَوْ في السمَاوَاتِّ أَوْ في الْأَرْضّ يأَتِّ بِّهاَ الله إ ن الله لطَّيف خَبير) (لقمان١٦)

وبذلك على الْآبَاء والأمهات وَكَذَلِكَ العاملين فِي مجَال التربية والتعليم أَن يغرسوا فِي قُلُوب أبنائهم وتلاميذهم مراقبة الله تَعَالَى فِي أَعْمَالهم وَسَائر أَحْوالهم، لتصبح هَذِه المراقبة الإلهية سلوكا لَازِما لَهُم فِي كل تصرفاتهم، وَيتم ذَلِك بترويض الْوَلَد على مراقبة الله وَهُو يعمل فيتعلم الْإِخْلَاص لله عز وَجل فِي كل أَقْوَاله وأعماله وَسَائر تَصَرُّفَاته ويكون مِمَّن شملهم الْقُرآن بقوله تَعَالَى: (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) (البينة الاية ٥) وَكَذَلِكَ ترويضه على مراقبة الله وَهُوَ يفكر ليتعلم الأفكار الَّتِي تقربه من خالقه الْعَظِيم وَالَّتِي بهَا ينفع نفسه ومجتمعه والناس اجمعين، وَأَيضا ترويضه على مراقبة الله وَهُوَ يحس، فيتعلم كل إحساس نظيف وليتربى على كل شعور طَاهِر، وَهَذَا النمط من التربية والمراقبة قد وَجه إِلَيه المربي الأول عَلَيهْ الصَّلَاة وَالسَّلَام فِي إجَابَته السَّائل عَن الْإِحْسَان : (أَن تعبد الله كَأَنَّك ترَاهُ فَإِن لم تكن ترَاهُ فَإِنَّهُ يراك)[٢٢].

وبعد ان بين لقمان لابنه اهم الامور والتي تعتبر القاعدة التي يستند عليها في باقي اموره وهي الاعتقاد الصحيح انتقل إلى تعليمه أصولَ العمل الصالح، فابتدأها بإقامة الصلاة ثم بعد أن أمر لقمَانُ الحكِّيم ابْنهَُ، وهو يعَظهُُ، بإِقَامَةِ الصلوَات وحِّفْظِّ الأوقات، ليخرجُ من دَركَات العادة إلى دَرَجَات

العبادة، وما يستلزم ذلك من التزام الرباطات، وشهود المناجاة، وأمره بأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصبر على ما يصيبه من جرائهما؛ فلابد أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حليما صبورا على الأذى؛ لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل وأتباعهم، وهو مستلزم للأذى من الناس؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة، ولذا قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده : (يا بني اقم الصلاة وَأْمُرْ بِّٱلْمعَروُف وَٱنهْ عَنِّ ٱلْمنُكر وَٱصْبر علَى مَآ أَصَابكَ إن ذَلك مِّنْ عَزْم الأمُور) ؛ أي : من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفَّقُ لها إلا أهْلُ العزائم[٢٣].

وهكذا يربي لقمان ابنه على منهج العبادة، حيث أن العبادة في الإسلام تربي الإنسان المسلم على الوعي الفكري الدائم، وهذا ما يجعله إنسانا منطقيا واعيا في كل أمور حياته، ومنهجيا لا يقوم بعمل إلا ضمن خطة ووعي وتفكير، إلى جانب ذلك فهو في يقظة دائمة يراقب الله في كل أعماله٣.

وإضافة إلى ما سبق فإن العبادة تربي في الإنسان المسلم الشعور بالعزة والكرامة، قال تعالى: (... ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (سورة المنافقون الاية ٨). فضلا عن تربيته على قدر من الفضائل الثابتة المطلقة [٢٤] .

ثم يبين المربي الفاضل لابنه انه اذا ما بلغ من العلم والصلاح مبلغا كبيرا عليه ان لا يتعالى على الخلق بل وجب عليه التواضع لان التواضع يرفع العبد الدرجات العالية عند ربه سبحانه . يقول الفخر الرازي: (لما أمره أمره بأن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وكان يخشى بعدهما من أمرين أحدهما: التكبر على الغير بسبب كونه مكملا له والثاني: التبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه فقال: ولا تصعر خدك للناس تكبرا ولا تمش في الأرض مرحا تبخترا إن الله لا يحب كل مختال يعني من يكون به خيلاء وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه وهو التكبر فخور يعني من يكون مفتخرا بنفسه وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه)[٢٥].

ويقول صاحب الظلال : (فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير. ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل: «ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحا. إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك، واغضض من صوتك. إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» .. والصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها. والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر. حركة الكبر والازورار، وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار! والمشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس. وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق. وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء! «إن الله لا يحب كل مختال فخور» .. ومع النهي عن مشية المرح، بيان للمشية المعتدلة القاصدة: «واقصد في مشيك» .. والقصد هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف. وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال. ومن القصد كذلك. لأن المشية القاصدة إلى هدف، لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر، إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق. والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق)[٢٦].

بعد هذا العرض لوصايا لقمان لابنه فاننا نلاحظ ان لقمان الحكيم رتب الامور بحسب اهميتها بالنسبة للداعية ، حيث بداها بتربية النفس ، ثم دعوة الاخرين ، ثم الصبر على الاذى و ما يواجهه من صعوبات[٢٧].

ويتضح لنا من الوصايا التي وصى بها لقمان ابنه أنها تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمرا وإلى مرتكبها إن كانت نهيا. فأمره بأصل الدين وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك وبين له الموجبة لتركه. وأمره ببر الوالدين وبين له السبب الموجب لبرهما وأمره بشكره وشكرهما ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما مالم يأمرا

بمعصية ومع ذلك فلا يعقهما بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمر بمراقبة الله وخوفه القدوم عليه وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلا أتى بها. وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر كما قال تعالى: {واستعينوا بالصبر والصلاة}، ونهاه عن التكبر وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك. فالوصايا السابقة هي منهج الآداب السامية التي يؤدب الله عباده ذلك لأن في امتثالها سعادتهم وفلاحهم دنيا وآخرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم يرون آثارها التربوية في توجيه وتهذيب سلوكهم، وتعمل على زيادة الألفة والمحبة بينهم كما يؤدي هذا إلى تماسك مجتمعهم[٢٨].

خاتمة بأهم الاستنتاجات

- لابد للاب ان يتابع ابنائه وان يهتم بتربيتهم التربية الصالحة لانهم رعيته وهو مسؤول عنهم امام الله سبحانه وامام الناس.
- لابد للمربي ان يتبع الاسلوب اللين والمشوق في ايصال وصيته لتابعه حتى لا ينفره لان النفوس مجبولة على عدم طاعة من يشدد عليها ويأتيها بأسلوب الفظ والغلظة.
- على المربي ان ينتهز الفرص واستغلال المناسبات لإيصال وصيته لتابعيه وللمجتمع.
- على الداعية والمربي ان يتكلم ضمن الواقع وضمن المناسبة التي يعيشها الناس حتى يتفهموا مراده ويتقبلوا وصيته.
- على الداعية والمربي ان يأتي بأمثلة مفهومة ومن الواقع لإثبات فكرته ووصيته وايصالها للمجتمع.

الهوامش:

١ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٤٩٩/٣.

٢ – الجامع لأحكام القرآن، ٥٩/١٤.

٣ – تفسير القرآن العظيم، ٣٣٦/٦.

٤ – الجامع لأحكام القرآن، ٥٩/١٤–٦٠.

٥ – تفسير ابن فورك، ص ٤٥١.

٦ – اللباب في علوم الكتاب،٤٤٢/١٥.

[٧] – للاستزادة في هذا الامر ينظر: وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه، دراسة موضوعية ، إعداد الطالب / إدريس العلمي، أكاديمية تفسير ، المرشد العلمي فضيلة الدكتور/ عبد الله موسى أبو المجد الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – الموسم الجامعي: ١٤٣٦–١٤٣٧هـ. (رسالة جامعية).

[٨] – ينظر: القيم التربويةٌ من خلال سورتي لقمان والحجرات وتطبيقّاتها العمليةٌ داخل المؤسسة التعليميةٌ، ص. ١٠–١١.

٩ – ينظر: القيم التربويةٌ من خلال سورتي لقمان والحجرات وتطبيقّاتها العمليةٌ داخل المؤسسة التعليميةٌ، ص. ٨.

١٠ – ينظر: وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه، ص. ٨–١١.

[١١] – ينظر: وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه، ص. ١١–١٢ .

١٢ – أصول الفكر التربوي في الإسلام عباس محجوب، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦، ص ٨٩– ٩٢.

١٣ – القيم التربويةٌ من خلال سورتي لقمان والحجرات وتطبيقّاتها العمليةٌ داخل المؤسسة التعليميةٌ، ص. ١٢.

[١٤] – ينظر: المصدر نفسه . ص. ١٢–١٣(بتصرف) .

١٥ – تفسير القران العظيم لابن كثير، ٣٣٦/٦.

[١٦] – المصدر نفسه.

[١٧] – المصدر نفسه، ٢٧٩/٧.

[١٨] – اصول الفكر التربوي في الاسلام، ٨٩–٩٢.

[١٩] – القيم التربويةٌ من خلال سورتي لقمان والحجرات وتطبيقّاتها العمليةٌ داخل المؤسسة التعليميةٌ، ص. ١٢.

[٢٠] – المصدر نفسه ، ص. ١٢.

[٢١] – الاخلاق الاسلامية واسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٢٤/٢

٢٢ – ينظر: القيم التربويةٌ من خلال سورتي لقمان والحجرات وتطبيقّاتها العمليةٌ داخل المؤسسة التعليميةٌ، ص. ١٤ (بتصرف) .

٢٣ – ينظر: وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه، ص. ٢١. وما بعدها (بتصرف).

٢٤ – معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثامنة والعشرون – ١٤١٧هـ – ١٤١٨هـ، ص. ٤٥٨.

٢٥ – التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، ١٢٢/٢٥.

٢٦ – في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ، ٢٧٩٠/٥.

٢٧ – ينظر: معالم اصول التربية الاسلامية ، ص. ٤٥٨.

[٢٨] – ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص. ٦٤٨. و معالم أصول التربية الإسلامية من، خلال وصايا لقمان لابنه، ص. ٤٦٥.

المصادر والمراجع:

المصادر بعد القران الكريم هي:

١- الاخلاق الاسلامية واسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

٣- أصول الفكر التربوي في الإسلام عباس محجوب، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦، ص ٨٩ – ٩٢.

٤- بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت: ٣٧٥هـ) ، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

٥- تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م.

٦- تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧- تفسير القران العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٨- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٩- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ .

١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١١- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٢- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، الحافظ عز الدين عبد الرّازق بن رزق الله الرّسْعَني الحنبلي (ت: ٦٦١هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة.

١٣- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

١٤- الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

١٥- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر– ١٤١٢ هـ.

١٦- القيم التربويةٌ من خلال سورتي لقمان والحجرات وتطبيقٌاتها العمليةٌ داخل المؤسسة التعليميةٌ، إنجاز الأستاذينٌ المتدربين: عثمان الهرار وعبد الواحد الجيدي، إشراف الدكتور: محمد بولوز، المركز الجهوي لمهن التربيةٌ والتكوينٌ لجهة الرباط سلا زمور زعيرٌ الرباط ، مسلك تأهيل أساتذة التعليمٌ الثانوي الإعدادي، شعبة التربيةٌ الإسلاميةٌ، السنة الدراسيةٌ: ٢٠١٣-٢٠١٤، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ.

١٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢،هـ – ٢٠٠٢م.

١٩- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٢ هـ.

٢١- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثامنة والعشرون – ١٤١٧هـ – ١٤١٨هـ.

٢٢- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢٣- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٢٤- وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه، دراسة موضوعية ، إعداد الطالب / إدريس العلمي، أكاديمية تفسير ، المرشد العلمي فضيلة الدكتور/ عبد الله موسى أبو المجد الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - الموسم الجامعي: ١٤٣٦-١٤٣٧هـ. (رسالة جامعية).